

سُورَةُ الْفَاقِ

obeikandi.com

عرض ودراسة

تصوّر هذه السورة القصيرة الاعتصام بإله الوجود من كل شر مبثوث فيه ظاهر وباطن أو واضح وغير واضح ، شر جميع المخلوقات إنساناً وغير إنسان ونفساً وغير نفس ، وشر الزمان وكل ما يستتر بظلمات لياليه ، وشر كل إيذاء في الخفاء يؤدي إلى فساد أو إضرار أو افتتان ، وشر الحسد وكل ما يتصل به من سوء ومكروه .

(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) :

يأمر الله رسوله تليفاً أن يعوذ به ، أى يلتجئ إليه ويعتصم بفضل ربوبيته من كل شر ، فمعنى (أعوذ) أتحرز وألوذ بالرب المرابي الراعى الكافل العباد الحافظ لأموهم وشئونهم الكائي لهم بالليل والنهار من كل الآفات الدافع عنهم كل المضرات . و (الفلق) قيل الصُّبح اهتداء بقوله تعالى في سورة الأنعام : (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا) . وأصل معنى الفلق الشق . وكان الله جلّ شأنه ذكر الصبح في أول آية وتلاه بالليل الغاسق في الآية الثالثة من السورة ، على نحو ما اجتمع الإصباح والليل في آية الأنعام ، فهو الذي يفتق الصباح من الآفاق وينشر الأضواء فتكتسح الظلام على نحو ما يرسل جنود الخير في الوجود فتكتسح الشرور وكل قواها المنبثة حول الإنسان . وقيل (الفلق) الخلق والوجود كله ، فقد كان مستوراً في ظلمة العدم وقلقه الله منها بالتكوين والإيحاء ، على نحو ما تصوّر ذلك آيتنا سورة الأنعام : (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ

الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ
فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) ، فهو يشقُّ الحَبَّةَ اليابسة فتتفلق عن النبات الأخضر
الناهي ويشقُّ النَّوَّةَ اليابسة فتتفلق عن الشجرة الكبيرة النامية ، بل إنه
يُخْرِجُ ما ينمو من الحيوانات والنباتات مما لا ينمو ، كما يخرج ما لا
ينمو مما ينمو . وإنه ليشق الإصباح من ظلمة الليل المنسدلة على الآفاق ،
ويصرف الليل والنهار والشمس والقمر ، كل يسير بحساب مقدر فلا
يختل ولا يضطرب بل يجرى إلى غايته . وبذلك انتظم الوجود وانتظمت
حياة الإنسان ، بفضل خالق الكون وموجده ملجأ المتعوزين وحصن المعتصمين .
وهذا التعميم في معنى الفلق أكثر التثاماً مع سياق الآيات في السورة ، فالله
صانع الكون ومخلوقاته ، وكل شئونه بيده ، يصرفها كيف شاء ، وهو
بذلك أهل لأن يستعاذ به من كل الشرور والسيئات المكتنئة في الوجود . وذكر
الألوسي أن ابن سينا اختار هذا المعنى العام لكلمة الفلق ، وأن المراد نور
الوجود المفلوق عن ظلمة العدم وأنه مضي يقول : « إِنْ فِي ذِكْرِ الرَّبِّ سِرًّا
لَطِيفًا مِنْ حَقَائِقِ الْعِلْمِ » ، وذلك أن المربوب لا يستغنى في شيء من حالاته
عن الرب ، كما يُشَاهِدُ في الطفل ما دام مربوباً ، ولما كانت الماهيات الممكنة
غير مستغنية عن إفاضة المبدأ الأول (يريد الله) لاجرم ذكر لفظ الرب
للإشارة إلى ذلك . وفيه إشارة أخرى من خفيات العلوم وهو أن العوذ والعياذ
في اللغة عبارة عن الالتجاء إلى الغير ، فلما أمر بمجرد الالتجاء إلى الغير وعبر
عنه بالربِّ دلَّ ذلك على أن عدم الحصول ليس لأمر يرجع إلى المستعاذ به
(أي الله) المفيض للخيرات ، بل لأمر يرجع إلى قابلهما (أي الإنسان) فإن

من المقرر أنه ليس شيء من الكمالات وغيرها مبخولا به من جانب المبدأ الأول سبحانه ، بل الكل حاصل موقوف على أن يصرف المستعد جهة قيوله إليه ، وهو المعنى بالحديث النبوى : إن لربكم فى أيام دهركم نفحات من رحمته ، ألا فتعرضوا لها ، وقد بين الرسول أن نفحات الألفاظ دائمة وإنما الخلل من المستعد . وقيل (الفلق) واد فى جهنم أو بشر فيها أو بيت من بيوتها أو اسم لها أو شجرة من أشجارها ، ورفض ابن تيمية فى تفسير السورة كل هذه الأقوال قائلا : « هذا أمر لا تُعرف صحته لا بدلالة الاسم عليه ولا بنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا فى تخصيص ربوبيته بذلك حكمة بخلاف ما إذا قال (القائل) رب الخلق أو رب كل ما انفلق أو رب النور الذى يظهره على العباد بالنهار ، فإن فى تخصيص هذا بالذكر ما يظهر عظمة الرب المستعاذ به ، وإذا قيل الفلق يعم ويخص ، فبعمومه للخلق أستعيذ (من شرِّ ما خلقت) وبخصوصه للنور النهارى أستعيذ من (شرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) فإن الغاسق قد فُسر بالليل . وواضح أن ابن تيمية لا يرتضى فى تفسير الفلق سوى المعنيين الأولين إما المعنى العام وهو رب الخلق والوجود كله ويراها ملاماً للآية التالية مباشرة ، وإما المعنى الخاص وهو الصبح وضوء النهار ويراها ملاماً لآية الغاسق أو الليل المظلم . وفى الأمر بالاستعاذة برب الوجود أو رب النور المنفتق من الظلام ما يشير بوضوح إلى عِدَّةٍ كريمة من الله للعائذ به أن ينجيه من كل شر ومن كل أذى وضر .

(مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) :

الشر نقيض الخير ، وهو كل ما يسبب مضرة ، وقال ابن قيم الجوزية في تفسيره للسورة : « الشر يقال على شيئين : على الألم وعلى ما يفضى إليه » فالألم كالمرض والحرق والغرق ، وما يفضى إليه كالكفر والاعتقادات الباطلة التي تفضى إلى العذاب ، ومثل الموبقات وضروب الخطيئات فإن صاحبها أو مقترفها قد يجد فيها لذة ولكنها تنتهي به إلى العذاب ، فهي بمنزلة طعام لذيذ شهى ، لكنه مسموم ، يُسيغه آكله ويجد فيه لذة ، وسرعان ما يقضى عليه قضاءً مبرماً . وقال ابن قيم الجوزية أيضاً : « الشر المستعاذ منه نوعان : أحدهما موجود يُطلبُ رفعه ، والثاني معدوم يُطلبُ بقاؤه على العدم وألا يوجد » وقد جُمع الشَّرَّان في قوله عليه السلام : « نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا » ، فشرور النفس معدومة ، غير أنها فيها بالقوة ، ولذلك يسأل الرسول دفعها وأن لا توجد . أما الأعمال السيئة فقد وجدت ويسأل رفعها ، وبذلك استعاذ من حصول الألم وما يفضى إليه من العقوبات . والشر يحدث إما بفعل الإنسان وقصده وهواه ، وتدخل في ذلك جميع المعاصي والذنوب ، وإما بفعل غيره من الإنسان نظيره أو من الحيوان أو من الهوام اللادغة أو من الرياح أو النار أو السموم أو الصواعق أو أى نوع من أنواع الآلام والبلاء . ويلاحظ ابن قيم الجوزية أن الله أضاف الشر في الآية إلى المخلوقات ، فهو لا يتصل بخلقه ، فخلقه تنزه وتعالى عن كل شر ، إنما يتصل بمخلوقاته ، واتصاله بها أمر نسبي إضافي ، إذ الله لا يخلق إلا الخير ، فكل مخلوق خير من جهة

خَلَقَ اللهُ وتكوينه ، وما فيه من شر إنما هو من حيث نسبته إلى من يقع عليه شره ، فَخَلَقَ الأسد مثلاً أو خلق الأفعى له وجهان أحدهما خير ، وهو الوجه الذى ينسب فيه إلى الله خلقاً وتكويناً ومشيشة وتقديراً لما فيه من الحكمة البالغة التى استأثر الله بعلمها ، والثانى شر وهو الوجه الذى ينسب فيه إلى من يقع عليه شره . ويوضح الفكرة ابن قيم الجوزية بالسارق إذا قُطعت يده ، فقطعها شر بالنسبة إليه وخير محض بالنسبة إلى الجماعة لما فيه من دفع الضرر عنهم . وبالمثل عقوبة الله من يستحق العقوبة من عباده فى الآخرة فإن ذلك خير محض لما فيه من العدل والحكمة ، وهو شر بالنسبة إليهم ، فالشر وقع فى تعلقه بهم لا فى فعله القائم به جلّ شأنه ، ففعله صادر عن العدالة المطلقة ، وفى ذلك يقول فى سورة ص : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) . وهو إنكار على من يخالف ما استقر فى الفطرة الإنسانية والعقول السليمة ، فيطالب الله بأن يضع الرحمة والإكرام موضع العقوبة والانتقام ، تعالى الله عن ذلك عُدّاً كبيراً . والاستعاذة من الشر تشمل شر كل مخلوق فيه شر وكل شر فى الآخرة كعذاب النار ، ومعروف أن من المخلوقات ما ليس فيه شر ولا ما يتصل بالشر كالأنبياء والملائكة والجنة ونعيمها الخالد . ومما لا ريب فيه أن الشر يتدخل فى عالمنا حتى ليصبح جزءاً لا يتجزأ منه ، وكأنا يتكون من جوهرين متضادين هما الخير والشر ، ولو كان خيراً محضاً أو شراً صرفاً لبطل نظامه ، وليبطلت الحاجة إلى العقول ، إذ لا يكون هناك ما يدعو إلى تفكير ولا إلى تفرقة بين ضار ونافع ومولم وممتع ومكروه ومحبوب وباطل وحق وجهل وعلم ووحشة

وأنس ، وإذن لما كانت هناك حضارة ولا مدنية ، إذ هما من ثمار العقول ،
وهي بدورها من ثمار اجتلاب المنافع ودفع الشرور . وكأن العالم لا يصلح
إلا على الشر والخير ، وبذلك يصبح الشر خيراً بقياس آخر غير قياس ابن
قيم الجوزية السابق ، وكأنه سم يتداوى به ، حتى تستكمل الحياة الإنسانية
معانيها ، بما أتيج لها من عقول تحرسها من الشرور ، وتم لها نعمة الرق
والنهوض طوراً بعد طور .

(وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) :

الغاسق الليل المظلم من الغسق وهو الظلمة ، ومنه قوله جل ذكره في سورة
الإسراء : (أقم الصلاة ليدلوك الشمس إلى غسق الليل) . ودلوك الشمس
ميلها إلى الغرب بعد الزوال . ويقال إن أصل معنى الغسق الامتلاء سميت
به الظلمة لأنها تملأ الآفاق . و (وَقَبَ) من الوَقْب وهو النقرة في الصخرة
يجتمع فيها الماء ، ومنه يقال وقب الماء إذا دخل في وقب ، ومن ذلك وقبت
الشمس إذا غابت ووقب الظلام إذا دخل ، والمعنى : ومن شر ليل داج
غطى ظلامه كل شيء . وتقيد الشر به لأنه يكون حينئذ موحشاً مخوف
الجوانب من الهوام والسباع وما قد يرصد الإنسان فيه من أعداء . وحدث
الشر عادة فيه أكثر ، ولذلك قالوا « الليل أخفى لِلَّيْلِ » وقالوا « الليل أخفى
ولله نهار أفصح » فالليل أستر وأحرى أن يتم فيه الشر ، ولذلك كان اللصوص
يسرحون فيه ، ويقال إن سباع الوحوش إنما تهيج وتلتهمس المعيشة وتنتلج
ليلاً . وأستد الله الشر إلى الليل لحدوثه فيه وملابسته له . وقيل الغاسق الليل

البارد من الغسق بمعنى البرد ، ومنه قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي سُورَةِ ص : (هَذَا فَلْيُدْفُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ) عَلَى قَوْلٍ مِنْ فَسَّرَ الْغَسَاقَ بِأَنَّهُ الزَّمْهَرِيرُ يَحْرِقُهُمْ بِبُرْدِهِ كَمَا تَحْرِقُهُمُ الْجَحِيمُ بِنَارِهَا . وَلَا تَعَارِضُ بَيْنَ هَذَا الْقَوْلِ وَسَابِقِهِ ، فَإِنَّ اللَّيْلَ بَارِدٌ وَمُظْلَمٌ وَلَكِنَّ الْأَنْسَبَ الظُّلْمَةَ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَخُوفَةُ الَّتِي يَسْتَعَاذُ مِنْ شَرِّهَا ، أَمَا بَرُودَةُ اللَّيْلِ فَلَيْسَتْ شَرًّا إِذْ قَدْ تَعَيَّنَ عَلَى النَّوْمِ فِيهِ وَبِخَاصَّةٍ فِي الْبِلَادِ الْحَارَةِ . وَقِيلَ الْغَاسِقُ الْقَمَرُ لَمَّا جَاءَ فِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ ثُمَّ قَالَ لَهَا : « يَا عَائِشَةُ اسْتَعِينِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ » .

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ وَتَلْمِيذُهُ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ جَمِيعًا إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَنَاقِضُ التَّفْسِيرَ الْأَوَّلَ بَلْ يُوَافِقُهُ وَيَشْهَدُ بِصِحَّتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوِنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) فَالْقَمَرُ آيَةُ اللَّيْلِ وَدَلِيلُهُ ، وَالدَّلِيلُ مُسْتَلْزَمٌ لِلْمَدْلُولِ ، فَإِذَا كَانَ شَرُّ الْقَمَرِ مَوْجُودًا يَكُونُ شَرُّ اللَّيْلِ أَيْضًا مَوْجُودًا ، وَتَخْصِيصُ الرَّسُولِ الْقَمَرَ بِالذِّكْرِ لَا يَنْفِي شُمُولَ الْغَاسِقِ لِغَيْرِهِ ، فَالْقَمَرُ وَاللَّيْلُ جَمِيعًا كِلَاهُمَا غَاسِقٌ ، وَشَرُّ الْقَمَرِ مَا قَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ فِي الْأَبْدَانِ مِنَ الْآفَاتِ أَوْ مَا قَدْ يَحْدُثُ مِنْ افْتِتَانِ بَعْضِ النَّاسِ بِهِ وَعِبَادَتِهِ عَلَى نَحْوِ مَنْ كَانَ يَعْبُدُهُ مِنَ الْعَرَبِ . وَقِيلَ الْغَاسِقُ الْوَأَقِبُ هُوَ الْقَمَرُ فِي خَسُوفِهِ وَمَا يَغْشَاهُ مِنْ سَوَادٍ ، وَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ وَيَزِيدُهُ ضَعْفًا أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَشَارَ إِلَى الْقَمَرِ فِي حَدِيثِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ لَمْ يَشِرْ إِلَيْهِ فِي خَسُوفِهِ بَلْ مَعَ ظُهُورِهِ . وَهَنَّاكَ أَقْوَالٌ أُخْرَى أَكْثَرَ ضَعْفًا ، مِنْهَا أَنَّ الْغَاسِقَ الْقَمَرَ لِأَنَّ جَرْمَهُ مُظْلَمٌ وَضَوْعُهُ مِنَ الشَّمْسِ ، وَوَقُوبُهُ مُحَاقَهُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ وَفِيهِ يَكْثُرُ النُّحْسُ وَالشُّؤْمُ ، وَمِنْهَا أَنَّ الْغَاسِقَ الشَّرِيًّا

إذا سقطت فإن الأسقام تكثر عند سقوطها وغروبها وإذا طلعت ارتفع ذلك ، ومنها أن الغاسق الحية إذا لدغت وكأن الغاسق نابها لأن السم يفسق منه أى يسيل ووقب نابها دخل في اللدغ ، ومنها أن الغاسق كل هاجم يضر كائناً ما كان أو هو كل شر يعترى الإنسان . وأصح الأقوال وأولها بالقبول أن الغاسق هو الليل الداجي الذي يتكاثر فيه الشر بخروج السباع من آجامها وغاباتها وخروج الهوام من أماكنها وكهوفها وانبعاث أهل الشر على العبث والفساد في الأرض من كل لص وكل قاطع طريق وكل مرتكب فسوق أو فحش خبيث .

(وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) :

أخذ بعض المفسرين بظاهر هذه الآية الكريمة ، فقال : (النفثات في العقدة) هن الساحرات اللاتي ينفثن أو ينفخن في عقدة خيط . حين يرقين عليها من يردن إيداءه . ومعروف أن السحر تمويه بالتخاييل كمن يرى السراب من بعيد فيظنه ماء ، أو كراكب القطار السائر إذا نظر من إحدى نوافذه وهو جالس فيه خيلاً إليه أن الأشجار تسير في اتجاه مخالف لسيره . واختلف الأسلاف أله حقيقة أم لا ؟ وذهب المعتزلة وأبو إسحق الإسترابادي من أصحاب الإمام الشافعي إلى أنه لا حقيقة له ، وإنما هو تمويه وتخيل وإيهام وضرب من الخفة والسرعة ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) ، أى أنهم خدعوا الناس بتخييلات لا حقيقة لها على نحو ما يصنع المشعوذون بخفة أيديهم ، واستدلوا أيضاً بقول الله في سورة طه : (يُخَيَّلُ لِنَاسٍ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْمَى)

ولم يقل جَلَّ شأنه : تَسَعَى على الحقيقة ، ولكن قال : يُخَيَّلُ إليه . وذهب الشافعي إلى أن السحر تمرىض لا تخيل ، كما يؤثر المثائب في مقابله أو من يجلس معه ويتحدث إليه ، وكأنه في رأى الإمام الكبير وسوسة وأمراض ، أو قل بلغة علم النفس الحديث ، تأثيرات نفسية ، وكأنه يرى أن لاحقيقة له . أما أهل السنة فذهبوا إلى أنه حقيقة ، لذكر الله إياه في القرآن ، ولقوله في آية سورة البقرة : (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ) ، وقالوا لو لم تكن له حقيقة لما أمكن تعليمه ولا قال الله إن الشياطين يعلمونه الناس . وقد ردَّ الشيخ الجليل محمد عبده على هذه الحجة بأن الله تعالى قد ذكره يحكى اعتقادات المخاطبين ، وإن لم تكن صحيحة في نفسها . وذكر القرطبي في الآية أنه قيل إن المراد بالشياطين فيها شياطين الإنس المتمادون في الضلال . وذكر بعض المحتجين للسحر بأن السبب في نزول الآية ما قيل من أن يهود المدينة طلبوا إلى رجل منهم هو وبناته أن يسحروا الرسول عند رجوعه من غزوة الحديبية ، فأخذوا بعض أثره ودفنوه في بئر ذروان وأثر فيه السحر ، كما زعم بعض الرواة ، فظهر له جبريل وأخبره بحقيقة الأمر ، فأرسل إلى البئر من أتاه بالأثر ، وزعموا أنه كان به إحدى عشرة عقدة بعدد آيات المَعْوَدَاتَيْنِ ، وكان (النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) هن بنات هذا اليهودى الساحرات . وقد أنكر المعتزلة هذه القصة أشد الإنكار محتجين بأنه لو صحَّ ذلك لأفضى إلى القدح في نبوة الرسول بتصديق الكفار فيما رواه القرآن عنهم إذ كانوا يقولون عن الرسول كما جاء في سورتي الإسراء والفرقان : (إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) ، يريدون بذلك أنه مجنون زايله عقله بسبب السحر فترك دين آبائه . وقال المعتزلة أيضاً كيف

يمكن تأثير السحر فيه عليه السلام ، والله يقول في سورة طه : (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) ويقول للرسول في سورة المائدة قولاً ، لا يمكن نقضه : (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) . ومن الخطأ البين أن نعارض ما يقوله القرآن في عصمته بقصة مروية غير وثيقة ، بل إنها واضحة الزيف والبطلان . وحاول الزمخشري أن يبتى على ظاهر الآية ، وأول الاستعاذة من النساء النفثات في العقد بأحد وجوه ثلاثة : إما أنه يستعاذ من عملهن وإثمهن فيه ، وإما أنه يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وخداعهن ، وإما أنه يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن . ويجد الزمخشري على ضوء آراء أصحابه من المعتزلة حلين للآية ينفيان عنها فكرة السحر والسحرة والساحرات ، فقال يجوز أن يكون المراد بالنفثات في العقد النساء الكيادات أخذاً مما جاء عنهن في سورة يوسف : من أن كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ تشبيهاً لكيدهن بالسحر والنفث في العقد . ويجوز أن يكون المراد بهن النساء اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن عليهم ، كأنهن يسحرنهم بذلك وكأنما يستلهم الزمخشري في هذا الرأي ما يتردد على ألسنة الناس قديماً وحديثاً من وصف جمال المرأة المغرى بأنه ساحر ، وكان القرآن الكريم استعار صورة الساحرات التي كانت لاصقة بنفوس العرب للتعبير بها عن الفاتنات اللاتي ينفثن فتنتهن في الرجال ، وقد سمى الرسول عليه السلام الجمال والبلاغة في الكلام سحرًا ، فقال : « إن من البيان لسحراً » . أما الشيخ الجليل محمد عبده فذهب في الآية إلى أن النفثات جمع نفثاة كعلامة وفهامة ، والمراد النمامون المقطعون لروابط الألفة المحرفون لها بما يلقون عليها من ضرام نمامهم ، يقول : « وإنما جاءت العبارة كما في الآية لأن الله جل شأنه أراد أن

يشبّههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين إذا أرادوا أن يحلّوا عقدة المحبة بين المرء وزوجه مثلاً فيما يوهمون به العامة عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلّوها ليكون ذلك حلاً للعقدة التي بين الزوجين ، والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر ، لأنها تحوّل ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة خفية كاذبة ، والنميمة تضلّل وجدان الصديقين كما يضلّل الليل من يسير فيه بظلمته ، ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق إذا وقب . وقد ظن قوم أن للسحر أصلاً حتى قالوا إن منه ما يُبْنَى على تأثير الكواكب وخصائصها أو على تأثير الاتصال بالشياطين ووسوستها أو على استحضار الجنّ بالعزائم والرُقَى . وفي الحديث النبوي نهى شديد عن السحر حتى يجعل الساحر آبقاً من الدين ، إذ يقول عليه السلام : « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ » . وما كان الإسلام ليبتى على خرافة السحر ، وقد أعلن حرباً لا هوادة فيها على كل خرافة وارتقى بالعرب إلى المستوى العقلي اللائق بكمال النوع الإنساني بحيث أصبحوا لا يخضعون لسوى العقل والمنطق في شئونهم الدينية والدنيوية ، وبحيث أصبحوا أمة مشغوفة بالعلم قد اجْتُنَتْ من نفوسها كل ما كان متصلاً فيها من خرافة وإيمان بالخرافة .

(وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) :

الحسد أن يتمنى الشخص أن يزول عن الآخرين ما هم فيه من نعمة ، أما تمنى مثلها دون تمنى زوالها فليس حسداً ، إنما هو غبطة ومنافسة ، وهما مباحان ، وفي الحديث : « الْمُؤْمِنُ يَغْبِطُ . وَالْمُنَافِقُ يَحْسَدُ » . وقد تسمى

الغبطة حسداً . وحينئذ يكون الحسد محموداً كما في الحديث : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطَ . على هُلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » . وهذا ليس حسداً بالمعنى السيئ ، وإنما هو غبطة ، ومن أجل ذلك وضعه البخارى في باب الاغتباط في العلم والحكمة . وحقيقة الغبطة ، كما أسلفنا ، أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك من الخيرات والنعم دون التعلق بزوالها عنه ، وعبر عن ذلك أبو تمام فقال : « وما حاسداً في المكرمات بحاسداً » . أما الحسد الحقيقي فمذموم أشد الذم إذ يحسد صاحبه الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فيعترض بذلك على ربه ، ويتدخل في القضاء وهو لا يملك تعديله ، فيعيش مغموماً : نفس دائمة وحزن لازم وهم مقيم لا يبرح . وهو أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء والأرض ، أما في السماء فحسد إبليس آدم حسداً جعله لا يسجد له ، فطرده الله من الجنة وكتب عليه اللعنة إلى يوم القيامة ، وأما في الأرض فحسد قابيل أخاه هابيل حسداً جعله يقتله . وبذلك كان إبليس أول من سنَّ الكفر وقابيل أول من سنَّ القتل بسبب الحسد وضعفه ، وفي الحديث : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » . وشره الذي أشارت إليه الآية إنما يكون حين يحمل صاحبه على إيقاع الشر بمحسوده بالفعل على نحو ما قتل قابيل هابيل أو بالقول كالإنكار فضل على نحو ما أنكر إبليس فضل آدم . ويدخل فيه تتبع المساوىء وطلب العثرات . وفي الحديث : « ثلاث لا يستجاب دعاؤهم : آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غلٌ أو حسد للمسلمين » . وقانا الله شر الحاسدين .

فهرس تحليلي

صفحة	
١١ - ٧	مقدمة
٢٨ - ١٣	فائحة الكتاب
١٥	١ - الحمد والشكر
١٧	٢ - رعاية الله للعالم
١٨	٣ - كل ما في العالم دليل على قدرة الله وحكمته
١٩	٤ - ربوبية الله تقوم على الرحمة
٢١	٥ - صاحب الأمر وحده في الأولى والآخرة
٢٣	٦ - ركن العمل والعبادة في الإسلام
٢٥	٧ - الاستعانة والتوكل
٢٦	٨ - مشيئة الله ومشية الإنسان
٢٧	٩ - سؤال الله الهدى والرشاد
١٦٣ - ٢٩	سورة الرحمن
١	١ - موضوعاتها وتكرار (فبأي آلاء ربكما تكذبان)
٣٥	٢ - الرحمة أبرز صفات الله في القرآن
٣٦	٣ - دحض ادعاء شيوع القسوة وشدة الانتقام في القرآن
٣٨	٤ - القرآن متمم للشرائع السابقة
٤٠	٥ - الإسلام الدين السماوي النهائي للبشرية عامة
٤٢	٦ - المشابهة في القرآن
٤٤	٧ - خلق الإنسان وقوانينه
٤٦	٨ - الدعوة إلى العلم والتعلم
٤٨	٩ - نعمة البيان
٤٨	١٠ - بيان القرآن وبلاغته
٤٩	١١ - الشمس والقمر ونظامهما الكوني المحكم
٥٢	١٢ - سجود الكائنات اختياراً أو تسخيراً وانقياداً
٥٣	١٣ - كل ما في السماء مسخر لمنفعة الإنسان
٥٤	١٤ - العدل قانون قائم في نظام الكون وتركيب الحياة
٥٨	١٥ - العدل في الكيل والميزان
٥٨	١٦ - العدالة الإلهية في الجزاء والثواب والعقاب
٦٠	١٧ - تذليل الأرض للإنسان بكل ما فيها من طيبات
٦١	١٨ - شكر الله على نعمه وآلائه

صفحة

- ١٩ - خلق آدم
- ٢٠ - سجود الملائكة له تكريماً ، وطبيعتهم وصلاتهم بالإنسان
- ٢١ - عصيان آدم لربه وهبوطه من الجنة إلى الأرض
- ٢٢ - عصيان إبليس لربه وعقابه ، وطبيعته وطبيعة الجن
- ٢٣ - الجن مكلفون
- ٢٤ - رب المشرقين ورب المغربين
- ٢٥ - ما بين المياه المالحه والعذبة من حجاب دال على قدرة الله
- ٢٦ - اللؤلؤ والمرجان ومتعة الإحساس بالجمال
- ٢٧ - نعمة مسيرة الفلك في البحار
- ٢٨ - فناء الإنسان مستقر في طبيعته
- ٢٩ - النشأة الأخروية للإنسان مطابقة في تدرجها للنشأة الدنيوية
- ٣٠ - عذاب القبر ونعيمه
- ٣١ - البعث بالأجساد والأرواح معاً
- ٣٢ - وجه الله : ذاته العلية
- ٣٣ - ذوالجلال والإكرام
- ٣٤ - سؤال الملائكة ربهم المغفرة للناس
- ٣٥ - سؤال الناس ربهم وتضرعهم إليه
- ٣٦ - الشؤون المتصلة بالله
- ٣٧ - ضرورة البعث
- ٣٨ - النفخ في الصور
- ٣٩ - لاوزر ولا ملجأ من الله يوم القيامة
- ٤٠ - عذاب الكفار بلهب النار وبدخان يخنق الأنفاس
- ٤١ - انشقاق السماء وذوبانها - انقلاب ضخيم في الكون
- ٤٢ - النشأة الثانية أو النشأة الجديدة للإنسان والكون
- ٤٣ - مواجهة كل إنسان بعمله
- ٤٤ - عذاب أهل النار - طعامهم وشرايبهم
- ٤٥ - العذاب يزهر يزهر بالثلج
- ٤٦ - خلود الكفار في النار - لا يخلد فيها المذنبون من المؤمنين
- ٤٧ - العذاب النفسى مع العذاب الحسى
- ٤٨ - الخوف والرجاء والوجل
- ٤٩ - وصف الجنة - عدد الجنات وأسمائها - جنتنا عدن والنعيم
- ٥٠ - حكم الجن حكم نبى آدم ثواباً وعقاباً
- ٥١ - وصف جنتى عدن والنعيم

١٢٠	٥٢ - شراب أهلها
١٢٤	٥٣ - قانون التزاوج في الخلق
١٢٦	٥٤ - فرش أهل عدن والنعم وطعامهما
١٢٩	٥٥ - قاصرات الطرف - وصدنهن
١٣٤	٥٦ - وصف جنى الفردوس والمأوى
١٣٩	٥٧ - نعم الجنان وبالغات السلف في تصوره
١٤١	٥٨ - عيون وأنهار
١٤٤	٥٩ - فواكه مختلفات
١٤٧	٦٠ - الخيرات الحسنات - الحور العين
١٤٩	٦١ - المتاع الآخروي غيبى لا تحيط به الأسماء والأوصاف
١٥٥	٦٢ - الإنس لا يعاشرون الجن
١٥٦	٦٣ - من نعم الفردوس والمأوى
١٦٠	٦٤ - نعم وآلاء نفسية رفيعة
١٦١	٦٥ - لقاء الله ورؤيته

٢٣٨ - ١٦٤

سورة الملك

١٦٧	١ - نعت التقديس والتنزيه
١٦٨	٢ - قدرة الله وقدره الإنسان
١٧٠	٣ - خلق الموت - هل الموت عدم؟
١٧٢	٤ - تعليل أفعال الله بمصالح النامس
١٧٣	٥ - الأعمال الحسنة
١٧٣	٦ - العزة لله وأرسوله وللمؤمنين
١٧٤	٧ - العقاب والثواب
١٧٤	٨ - غاية خلق الإنسان
١٧٥	٩ - خلق السموات ودقة النظام الكونى
١٧٩	١٠ - جمال السماء
١٨٠	١١ - الشياطين واستراقهم السمع - شياطين الإنس
١٨٥	١٢ - أنواع الكفر
١٨٦	١٣ - صفات جهنم
١٨٨	١٤ - الزبانية ملائكة العذاب : وصفهم وعدتهم
١٩٠	١٥ - عدل الله في العقاب بعد الإعدار بالرسول
١٩٢	١٦ - الأدلة السمعية والعقلية على وجود الله وقدرته
١٩٤	١٧ - النظر العقلى في آيات الله الكونية

صفحة

١٩٥	١٨ -	الخشية والخوف - المغفرة
١٩٨	١٩ -	علم الله وتضمنه اللطف والحكمة
٢٠١	٢٠ -	تسخير الله الأرض للإنسان
١٠٣	٢١ -	الرزق والتوكل والاكتساب
٢٠٥	٢٢ -	تنزيه الله عن الأماكن والحدود والجبهات
٢٠٧	٢٣ -	حاصب من السماء - أنواع العقاب للأمم الحالية
٢١٢	٢٤ -	الطير في السماء من آيات الله الكونية
٢١٤	٢٥ -	لا عاصم للكفار من الله
٢١٦	٢٦ -	الرزق والحلال والحرام - والرضا
٢١٩	٢٧ -	مثل الكافر والمؤمن
٢٢٢	٢٨ -	نعمة السمع والأبصار والأفئدة
٢٢٥	٢٩ -	المعاد
٢٢٧	٣٠ -	أمارات الساعة
٢٢٩	٣١ -	علم الغيب مقصور على الله
٢٣١	٣٢ -	سواد وجوه الكفار يوم القيامة
٢٣٣	٣٣ -	تمنى الكفار للرسول وصحبه الموت والهلاك
٢٣٥	٣٤ -	لا بد مع التوكل من العمل والكسب
٢٣٧	٣٥ -	نعمة الماء من أعظم النعم على الإنسان

٢٣٩ - ٢٨٦

سورة التكوير

٢٤١	١ -	تكوير الشمس
٢٤٤	٢ -	انكدار النجوم
٢٤٦	٣ -	تسيير الجبال ودكها حتى تصبح هباء
٢٤٨	٤ -	تعطل النوق العشار وإهمالها أو تعطل السحب من الأمطار
٢٤٩	٥ -	الوحوش تهيم على وجوهها من شدة الهول
٢٥٠	٦ -	فيضان البحار واضطرابها بالنار
٢٥٢	٧ -	النفس والروح - اقتران النفوس بالأبدان في المعاد
٢٥٥	٨ -	قضية الموعودة أمام الله
٢٥٧	٩ -	نشر صحف الأعمال أمام الناس
٢٥٩	١٠ -	انكشاف حجاب السماء
٢٦١	١١ -	اضطراب الجحيم بالنيران الموقدة
٢٦٢	١٢ -	دنوا الجنة إلى المؤمنين
٢٦٣	١٣ -	كل شخص وما قدمت يداه

- ١٤ - قسم الله بالكواكب والأجرام السماوية ٢٦٥
- ١٥ - قسم الله بالليل في انكشافه عن الآفاق وبالصبح في انبثاق أضوائه ٢٦٧
- ١٦ - القرآن أداءه ملاك كريم ٢٦٩
- ١٧ - وصف جبريل بالقوة وبطلان ما صورته به الإسرائيليات ٢٧٢
- ١٨ - مكانة جبريل عند ربه وفي الملأ الأعلى وأمانته ٢٧٤
- ١٩ - نبي افتراءات المشركين على الرسول وصدقه في رؤيته لجبريل ٢٧٤
- ٢٠ - صور الوحي الإلهي ٢٧٥
- ٢١ - أمانة الرسول في أدائه رسالته وتبليغها إلى الناس ٢٧٩
- ٢٢ - صدق الرسالة ٢٧٩
- ٢٣ - عالمية الإسلام ٢٨٢
- ٢٤ - الإسلام دين الفطرة ٢٨٤
- ٢٥ - المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية ٢٨٤

٢٨٧ - ٣١٧

سورة الأعلى

- ١ - تنزيه الله في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته ٢٨٩
- ٢ - أسماؤه الحسنى ٢٩٠
- ٣ - علوه ليس علو جهة ومكان : وإنما علو ألوهية واستحقاق لنعوت الجلال ٢٩١
- ٤ - إبداع الكون وتسوية خلق كل شيء فيه بإيداعه صورته وخواصه ٢٩٢
- ٥ - إعطاء كل شيء القدرة على بقائه والتطور به طوراً بعد طور ثم الهداية لما فيه بقاؤه ونفعه ٢٩٤
- ٦ - كل شيء في الدنيا إلى فناء كالنبات يذوى بعد الحياة ويصبح هشياً ٢٩٦
- ٧ - وعد الله لرسوله بأنه لن ينسى ما يتلوه عليه جبريل من القرآن وأنه متم عليه رسالته ٢٩٨
- ٨ - السر في نشر القرآن للغة الضاد في البلاد الإسلامية وحفظها ٣٠٠
- ٩ - الإسلام نبي على اليسر ٣٠١
- ١٠ - الرخص في الدين - الإباحة هي الأصل - الضرورات تبيح المحظورات ٣٠٢
- ١١ - الخشية والخوف والرجاء - الخشية في تلاوة القرآن ٣٠٥
- ١٢ - خلود الكفار في النار ٣٠٨
- ١٣ - الفلاح الأخروي وأدواته من طهارة النفس والصلاة ٣٠٩
- ١٤ - إثبات الدنيا على الآخرة ٣١٠
- ١٥ - إثبات الآخرة ٣١١
- ١٦ - وحدة الشرائع الإلهية في أصول العقيدة ٣١٤
- ١٧ - الاختلاف في الفروع بحكم تعدد الأوضاع في الجماعات ٣١٥
- ١٨ - الشريعة الإسلامية شريعة عامة للبشر جميعاً ٣١٦

صفحة

٣٤٠ - ٣١٩

سورة الشمس

- ١ - القسم بالشمس وضحاها ودلالتهما على قدرة الله وحكمته
 ٢ - القسم بالقمر ودلالته على كمال القدرة الربانية
 ٣ - القسم بالنهار والليل إشارة إلى أنهما معاش للناس وراحة
 ٤ - القسم بالسما والبناء والأرض وتذليلها إشارة إلى تسخيرها للناس
 ٥ - القسم بالنفس شاملة الجسد وكماها في الخلق والتسوية والتقدير
 ٦ - العقل هبة لإهية للتمييز بين الخير والشر
 ٧ - الترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية
 ٨ - التفكر في الدمار الذي أصاب الأمم السالفة المكذبة للرسول
 ٩ - تكذيب عمود لرسولهم صالح عليه السلام
 ١٠ - ناقته آية صدقه
 ١١ - عقرومه للناقة ونزول الدمار بهم والتكال
 ١٢ - عقاب لإلهى عادل جزاء العتو والظغيان

٣٥٢ - ٣٤١

سورة العصر

- ١ - العصر والورد على الدهرين
 ٢ - الحسران المعنوي الناشئ عن الكفر والضلال
 ٣ - أنواع الأعمال الصالحة
 ٤ - صنوف الحق
 ٥ - أقسام الصبر
 ٦ - الصبر في جهاد الأعداء

٣٦٧ - ٣٥٣

سورة الماعون

- ١ - صفات الكافر: تكذيب المعاد والجزاء
 ٢ - جفوة اليتيم
 ٣ - لا يبر المسكين
 ٤ - آداب القرض الحسن
 ٥ - صفات المنافقين
 ٦ - سهو المنافقين عن الصلاة
 ٧ - رياء المنافقين ضرب من الشرك
 ٨ - الشح والبخل الشديد

صفحة

٣٦٩ - ٣٨١

سورة الإخلاص

- ١ - هو: من أسماء الله عند الصوفية
 ٢ - أحدية الله في الذات والصفات والأفعال والعبادة
 ٣ - دعاء الله وآدابه
 ٤ - الله لا تجوز عليه الولادة ولا اتخاذ الأولاد
 ٥ - تنزيه الله عن المشيل والتظير

٣٨٣ - ٣٩٦

سورة الفلق

- ١ - الاستعاذة برب الوجود
 ٢ - شر المخلوقات جميعاً في الدنيا والآخرة
 ٣ - شرور الليل الداجي
 ٤ - حقيقة السحر
 ٥ - إنكار سحر الرسول
 ٦ - النفائات في العقد
 ٧ - الحسد نوعان : محموم ومنموم

obeikandi.com

كتب للمؤلف مطبوعة بالدار

- في الدراسات القرآنية
- الوجيز في تفسير القرآن الكريم
الطبعة الأولى ١٠٥٢ صفحة
 - سورة الرحمن وسور قصار
عرض ودراسة
الطبعة الثالثة ٤٠٤ صفحات
- في تاريخ الأدب العربي
- العصر الجاهلي
الطبعة السابعة عشرة ٤٣٦ صفحة
 - العصر الإسلامي
الطبعة الرابعة عشرة ٤٦١ صفحة
 - العصر العباسي الأول
الطبعة الثانية عشرة ٥٧٦ صفحة
 - العصر العباسي الثاني
الطبعة التاسعة ٦٥٧ صفحة
 - عصر الدول والإمارات
الجزيرة العربية-العراق-إيران
الطبعة الثالثة ٦٨٨ صفحة
 - عصر الدول والإمارات
الشام
الطبعة الثانية ٣٥٦ صفحة
 - عصر الدول والإمارات
مصر
الطبعة الثانية ٥٠٠ صفحة
 - عصر الدول والإمارات
الأندلس
الطبعة الثانية ٥٥٢ صفحة
 - عصر الدول والإمارات
ليبيا - تونس - صقلية
الطبعة الأولى ٤٤٦ صفحة
- في مكتبة الدراسات الأدبية
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي
الطبعة الحادية عشرة ٥٢٤ صفحة
 - الفن ومذاهبه في النثر العربي
الطبعة الحادية عشرة ٤٠٠ صفحة
 - التطور والتجديد في الشعر الأموي
الطبعة التاسعة ٣٤٠ صفحة
 - دراسات في الشعر العربي المعاصر
الطبعة التاسعة ٢٩٢ صفحة
 - شوقي شاعر العصر الحديث
الطبعة الثالثة عشرة ٢٨٦ صفحة
 - الأدب العربي المعاصر في مصر
الطبعة العاشرة ٣٠٨ صفحات
 - البارودي رائد الشعر الحديث
الطبعة الخامسة ٢٣٢ صفحة
 - الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر
بنى أمية
الطبعة الخامسة ٣٣٦ صفحة
 - البحث الأدبي:
طبيعته- مناهجه-أصوله-مصادره
الطبعة السادسة ٢٧٨ صفحة
 - الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور
الطبعة الثانية ٢٥٦ صفحة
 - في التراث والشعر واللغة
الطبعة الأولى ٢٧٦ صفحة
 - في الدراسات النقدية
في النقد الأدبي
الطبعة الثامنة ٢٥٠ صفحة
 - فصول في الشعر ونقده
الطبعة الثالثة ٣٦٨ صفحة

- المقامة
الطبعة الخامسة ١٠٨ صفحات
- النقد
الطبعة الخامسة ١١٢ صفحة
- الترجمة الشخصية
الطبعة الرابعة ١٢٨ صفحة
- الرحلات
الطبعة الرابعة ١٢٨ صفحة
- المقامة
الطبعة الثامنة ٣٨٠ صفحة
- المدارس النحوية
الطبعة السابعة ٣٧٦ صفحة
- تجديد النحو
الطبعة الثالثة ٢٨٢ صفحة
- تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً
مع نهج تجديده
الطبعة الثانية ٢٠٨ صفحات
- تيسيرات لغوية
الطبعة الأولى ٢٠٠ صفحة
- في مجموعة نوابغ الفكر العربي
ابن زيدون
الطبعة الحادية عشرة ١٢٤ صفحة
- الدرر في اختصار المغازي والسير
لابن عبد البر
الطبعة الثالثة ٣٥٦ صفحة
- في مجموعة فنون الأدب العربي
الرياء
الطبعة الرابعة ١١٢ صفحة

في سلسلة «أقرأ»

- العقد
الطبعة الخامسة
- البطولة في الشعر العربي
الطبعة الثانية
- الفكاكة في مصر
معى (١)
- معى (٢)

- الطبعة الثانية
- الطبعة الثانية
- الطبعة الأولى